الفصل السادس

حراسة عتبة المعبد

كان هناك فى معبد أورشليم ثلاثة من الموظفين ، الذين يبدو أنهم كانوا من الكهنة ، وكانوا يلقبون « بحراس الباب » (١) • فماذا كانت وظيفة هؤلاء على وجه التحديد ؟ قد يقال انهم كانوا مجرد حراس للمعبد • ولكن اللقب الذى خلع عليهم يشير الى أن وظيفتهم كانت أكبر من ذلك بكثير • ذلك أن هناك كثيرا من الخرافات الغريبة قد نشأت حول موضوع عتبات الأبواب فى كل من العصور القديمة والحديثة • فقد قال النبى « صفنيا » على لسان يهوه : « وفى ذلك اليوم أعاقب كل الذين يقفزون فوق العتبة الذين يملأون بيت سيدهم ظلما وغشاء » • (سفر صفنيا الاصحاح الاول أية ٩) ويبدو من هذا التصريح أن من يتخطى العتبة واثبا يرتكب إثما يستحق عليه غضب الرب شأنه شأن اثم الخداع والغش • وقد كان الاله الفلسطينى « داجون » الذى كان موطنه « أشدود » ، ينظر لمن يطأ عتبة الباب نظرته للأثم ، فنحن نقرأ أن كهنة هذه الاله وعباده كانوا يحرصون على ألا يطئوا عتبة المعبد بأقدامهم اذا دخلوه • وما تزال هذه العادة تتبع حتى اليوم فى هذه المناطق • فقد تحدث الكابتن « كوندر » عن عادة سورية فقال : « انه يعد من سوء الطالع أن يطأ الشخص بقدمه

---

(١) انظر سفر ارمياء الاصحاح الخامس والثلاثون آية ٤ .
« ودخلت بهم الى بيت الرب الى مخدع بنى حنان بن يجدليا ، رجل الله الذى بجانب مخدع الرؤساء الذى فوق مخدع معسيا بن شلوم حارس الباب » . وكذلك نفس السفر الاصحاح الثانى والخمسين آية ٢٤ .
« واخذ رئيس الشرط سرايا الكاهن الأول وصفنيا الكاهن وحارسى الباب الثلاثة » ..

عتبه الباب • ومن ثم فانه يوجد فى كل المساجد حاجز خشبى عند بابه ، حتى يضطر من يدخله أن يخطو فوقه عند دخول المسجد • ومثل هذه العادة تتبع فى الأضرحة الريفية » • وهذه الأضرحة تعد معابد صغيرة للأولياء ، وهى توجد فى كل قرية على وجه التقريب فى سوريا ، وهى تعد المركز الحقيقى لعبادة الفلاحين • « ويبدى الأهالى تقديسا كبيرا لهذه الأضرحة ، حيث يعتقد الناس أن الأولياء يسكنونها على الدوام فى صورة غير مرئية • ومن ثم فان المزارع يخلع حذاءه عند دخول الضريح ، ويراعى ألا تطأ قدماه العتبة » •

ويشير بقاء هذه العادة فى سوريا حتى اليوم الى أن حراس عتبة المعبد فى أورشليم ، ربما كانوا خفرا يقفون عند مدخل البناء المقدس لكى يمنعوا من يريد دخوله من أن يطأ العتبة بقدمه • ومما يؤيد هذا الفرض أننا نلاحظ وجود مثل هؤلاء الحراس فى أماكن أخرى حيث يقومون بنفس المهمة • فعندما زار « ماركوبولو » قصر بكين فى عهد الملك الشهير « كوبلاى خان » ، وجد عند باب كل قاعة (وفى كل مكان كان يحل فيه الامبراطور) ، رجلين ماردين ، يقف كل منهما على جانب من جانبى الباب ، وفى يد كل منهما رمح • وقد كانت مهمة هذين الحارسين مراقبة كل من يدخل القاعة حتى لا يطأ العتبة بقدميه • فاذا فعل أحد الزائرين ذلك ، خلعا عنه ملابسه ، ومنعاه من استردادها الا اذا قام بدفع دية • وقد يصفعانه عدة صفعات ولا يردان له الملابس • فاذا كان الزائرون من الغرباء الذين يجهلون تلك العادة ، فان بعض الأمراء يستقبلونهم ويشرحون لهم تلك العادة • فالصينيون كانوا يعتقدون فى الحقيقة أن كل من يطأ عتبة الباب بقدمه ، يلحق به الأذى • وعلى الرغم من اصرار الحراس على تنفيذ هذا النظام عند دخول الزائرين القصر ، فانهم كانوا يتهاونون فى اتباعه عند خروجهم منه ، لأن بعض الزائرين يكونون قد أصيبوا بالسكر وأصبحوا غير قادرين على التحكم فى خطوات أقدامهم • « على أن حراس العتبة فى بكين ، وفقا لرواية « فريا ــ أدوريك » الذى سافر الى الشرق

فى مطلع القرن الثالث عشر ، لم يكونوا يلفتون نظر من يدخل القاعة الى هذا التحريم ، بل سرعان ما يصوبون الرماح الى كل من أخطأه الحظ ووطىء بقدمه احدى عتبات القصر • وعندما كان الراهب « دى روبروكى » الذى كان يعمل سفيرا للويس الرابع عشر فى بكين ، فى بلاط « مانجوخان » ، حدث أن وطىء أحد رفاقه عتبة الباب بقدمه فى أثناء خروجه من القاعة ، وعند ذلك أمسك الحراس بهذا الرجل المتهاون وأحضروه الى « البولجاى » ، وهو قاضى القضاة ، أو سكرتير البلاط الذى كان يصدر الحكم على هؤلاء بالحياة أو الموت » • ولما علم هذا القاضى أن هذا الرجل المذنب قد ارتكب هذا الاثم نتيجة جهل منه بتلك العادة ، عفا عنه ولكنه لم يسمح له بعد ذلك بدخول أى بيت من بيوت « مانجوخان » • أما الراهب فقد كان سعيد الحظ لأن ينجو بنفسه • ولم يكن تقريح العظام هو أسوأ عقاب يناله مرتكبو هذا الجرم فى هذه البلاد ، فقد روى « بلانو كاربينى » الذى سافر الى بلاد التتار فى منتصف القرن الثالث عشر ، أى قبل وفادة « روبروكى » ببضعة سنوات ، أن أى شخص كان يطأ عتبة كوخ الأمير التتارى أو عتبة خيمته بقدمه ، كان يجر من خلال حجر أعد لهذا الغرض أسفل الكوخ أو الخيمة ، ثم يقتل دون رحمة أو هوادة • ويعبر المثل المنغولى بايجاز عن السبب الذى ترتكز عليه هذه الأحكام الصارمة على النحو التالى : « لا تطأ العتبة بقدميك لأن هذا يعد جرما » •

على أن هذه العادة لم تكن تقتصر فى العصور الوسطى على التتار أو المغول ، فقد كان الخلفاء العباسيون « يرغمون كل من يدخل قصورهم أن يخروا ساجدين عند عتبة بوابة القصر التى طعموها بقطعة حجر من حجر الكعبة الاسود وذلك لخلع مزيد من الرهبة على هذه العتبة ، حيث أن الناس قد تعودوا أن يخروا ساجدين لهذا الحجر • وقد كانت العتبة مرتفعة بعض الشىء عن الأرض وكل من يطأها بقدمه ينظر اليه على أنه قد ارتكب جرما » • وعندما زار

الرحالة الايطالى « بييترو فالى » قصر ملوك الفرس فى أصفهان فى مطلع القرن السابع عشر ، لاحظ أن « أكبر مظاهر التقديس كانت تقام عند بوابة مدخل القصر • وقد كان هذا التقديس كبيرا الى درجة أنه كان محرما على كل شخص أن يطأ بقدمه الدرج الخشبى المرتفع بعض الشىء عن الارض • بل ان الناس كانوا يقبلون هذا الدرج فى كل مناسبة ، كما لو كان شيئا مقدسا ثمينا » • فاذا نجح أحد المجرمين فى آن يخطو فوق العتبة ويدخل القصر ، فانه يكون بذلك قد أصبح فى حماية الحرم المقدس ، ولا يستطيع أحد عند ذاك أن يصيبه بسوء • فعندما كان « بييتر ديلا فالى » فى أصفهان كان يعيش فى القصر رجل ذو مكانة • وكان الملك متحاملا على هذا الرجل وعزم على أن يقتله • ولكن المذنب أسرع ودخل القصر ، وبذلك أصبح فى مأمن من الاعتداء عليه • ولو أنه كان قد خطا خارج البوابة ، لكان قد نفذ فيه حكم الاعدام فى الحال » • ولم يكن أحد يمنع من دخول القصر • واذا استطاع شخص أن يخطو فوق العتبة التى يتحتم عليه تقبيلها ، كما سبق أن أشرت الى ذلك ، فان من حقه عند ذاك أن يطلب الحماية • وباختصار فان هذه العتبة كانت تقدس كل التقديس ، الى درجة أن اسمها وهو « أستانى » ، كان يطلق على البلاط والقصر الملكى نفسه » •

وقد كانت تنتشر عادة تقديس المسكن على هذا النحو ، وتجنب لمسها ، بين الشعوب البدائية ، كما كانت تنتشر بين الشعوب المتحضرة • ففى « فيجى » ، كان يحرم على كل فرد الجلوس على عتبة المعبد ، فيما عدا الزعيم الذى يتمتع بمكانة مرموقة • على أن الجميع كانوا يحرصون على ألا يطئوا بأقدامهم عتبة مكان قد خصص لعبادة الآلهة ، فالأشخاص ذوى المكانة يعبرون فوقها ، أما عامة الناس فيزحفون فوقها ، على أيديهم وأرجلهم • ويحدث هذا كذلك عندما يخطو الناس فوق عتبة بيت الزعيم والفرق طفيف فى الحقيقة بين من يتمتع بمكانة

مرموقة وذلك الذى يتمتع بالمكانة الدينية من الدرجة الثانية ، فالأول يعد نفسه قريبا للاله ، كما ان الناس كثيرا ما يتحدثون عنه بوصفه الها ، وهو فى بعض الأحيان يجهر بحقه فى الألوهية • وفى غرب أفريقيا « غالبا ما يسد مدخل قرية من القرى بحاجز خفيف مؤقت ، ولا يسمح للمرور من هذا الحاجز سوى عن طريق بوابة ضيقة ذات عقد ومصنوعة من الشجيرات التى تتوجها الزهور والأوراق•ويعتقد السكان أن هذا الحاجز ، رغم ضعفه ، يحول دون دخول الأرواح الشريرة داخل القرية ، حيث أنهم يعلقون على العقد تعاويذهم الفيتيشية • فاذا كانت القرية على أبواب حرب حقيقية ، سد هذا المدخل بجذوع الشجر ، حيث تدور خلفه معركة حقيقية لا بين الانسان والأرواح الشريرة ، وانما بين الانسان والانسان • وفى بعض الأحيان تغرس شجرة فى وضع أفقى عبر العتبة الضيقة لحماية هذه البوابة ويتحتم على الزائر الغريب ألا يطىء بقدمه هذه الشجرة ، وانما يعبر فوقها • فاذا كان أهالى القرية يتوقعون شرا مستطيرا ، فانهم يسكبون على البوابة فى بعض الأحيان دم نعجة أو شاة تقدم ضحية لهذا الغرض » • ولا يسمح لفرد من بين قبيلة « ناندى » التى تسكن شرق افريقيا البريطانى ، أن يجلس عند باب بيت أو عند عتبته ، كما لا يجوز للرجل أن يمس عتبة داره أو يمس أى شىء آخر فى بيته ، فيما عدا سريره ، طالما كانت زوجته تقوم بإرضاع طفلها • وبالمثل لا يسمح لأحد فى مراكش أن يجلس عند عتبة البيت أو عند مدخل الخيمة • فاذا خالف شخص هذا التحريم ، فان الناس يعتقدون أنه سيقع فريسة للمرض ، أو أنه سيتسبب فى حدوث شر لأهل البيت • ولا يجوز لأى شخص فى قبيلة « كورا » وهى قبيلة « درافيدية » فى « ميزابو » أن يمس عتبة البيت سواء عند دخوله للبيت أو خروجه منه • ويقول « الكورميون » الذين يكونن طبقة المزارعين الرئيسية فى أقاليم الهند الوسطى « أنه لا يجوز لأى شخص على الاطلاق أن يجلس عند عتبة بيته ، لأن هذا مكان مخصص للالهة « لا كشيمى » ، الهة الثروات • فالجلوس على

العتبة اذن يعد امتهانا لها » • وبالمثل تنظر قبيلة « كالمـوك » الى الجلوس فوق عتبة البيت بوصفه جرما •

ونلاحظ من خلال معظم هذه الأمثلة أن تحريم الجلوس على عتبة البيت أو لمسها يعد تحريما عاما كليا • فليس لأحد ، كما سبق أن رأينا ، أى يجلس فوق العتبة ، أو أن يمسها فى أى وقت أو فى أى ظرف من الظروف • ونستثنى من ذلك حالة واحدة رأينا فيها أن التحـريم مؤقت ومشروط ؛ وهى انه لا يجوز للرجل فى قبيلة « ناندى » أن يمس عتبة داره ، اذا كانت زوجته تقوم بارضاع طفل لها • ولكننا رأينا أن هذا التحريم لا يقتصر على عتبة الدار ، بل يتعدها الى كل شىء فى البيت فيما عدا سريره الخاص به • على أن هناك أحوالا أخرى يقتصر التحريم فيها صراحة على أحوال خاصة بعينهـا ، وإن كنا لا نتصور أن التحريم كان محددا للغاية على هذا النحو ، وأن الناس فى غير هذه الظروف المشـار اليها كانوا أحرارا فى إيطاء العتبة بدون قيد أو شرط • ومثال ذلك أنه من المـألوف عندما يعود رجل الى بلده تانجير بعد تأديته لفريضة الحج فى مكة ، أن يحمله أصـدقاؤه فوق العتبـة ويضعونه على سريره • ومع ذلك فانه من الخطأ ان ندعى ، أن الرجال والنساء فى مراكش ، كانوا فيما عدا ذلك أحرارا فى أن يطأوا بأقدامهم الأعتاب أو أن يجلسوا فوقها ، فلقد رأينا فى مراكش أنه لم يكن يسمح لأحدى بأى حال من الأحوال أن يجلس فوق عتبة داره أو فوق عتبة خيمته • ومن عادة سـكان مراكش كذلك ؛ أن تحمل العروس عنـد دخولها بيت زوجها ، وذلك حرصا من أقربائها على ألا تمس قدماها عتبة بيتها • على أن عادة حمل العروس فوق عتبة بيت الزوج الـذى تدخله لأول مرة تنتشر فى جهات كثيرة من العالم ، كما أن الباحثـين قاموا بدراستها فى كل من الزمن القديم والحديث ، وفسروها تفسيرات مختلفة • وربما كان من الأفضـل أن نقدم أمثلة لهذه العادة قبل أن نعرض لوجوه النظر المختلفة فى تفسيرها • •

ففى فلسطين فى الوقت الحاضر « تحمل العروس فوق عتبة الباب

بحيث لا تمس قدماها عتبة بيت زوجها ، وإلا كان الحظ العثر حليفها • ويراعى الصينيون اتباع هذه العادة فى شكل أكثر دقة • فعند « الهاكايين » على سبيل المثال ، تقوم أمرأة عجوز ، يختارها الزوج ، بمساعدة العروس عندما تصل الى بيت زوجها وتحملها فوق العتبة وهى جالسة على كرسى ، بعد أن توضع فوق العتبة حديدة المحراث القاطعة بعد حرقها فى النار وغمسها فى الخل ، ثم يتلقفها أقرباؤها الذين يقفون على الجانب الآخر من العتبة • وربما اختلفت هذه العادة بعض الاختلاف من مكان لآخر فى الصين • فوفقا لرواية أخرى ، تنسب فيما يبدو لبلدة « كانتون » والأماكن المجاورة ، أن العروس عندما تنزل من محفتها عند باب زوجها ، « تحملها خادمة فوق ظهرها ، وتخطو بها فوق نار تشتعل بالفحم النباتى اشتعالا بطيئا ، وترص على جوانبها الأحذية التى كان المدعوون يرتدونها فى موكب العروس لتقدم هدية لزوج المستقبل • ثم تحمل خادمة أخرى وهى تخطو فوق النار كذلك ، صينية وضع فوقها عدد من الأعواد التى يتناول بها الصينيون طعامهم ، وكذلك بعض الأرز وبذور الفوفل » • ومن عادة « الموردفينيين » فى روسيا ، أو ربما كانت من عادتهم ، أن تأتى العروس الى بيت زوجها محمولة على أذرع بعض المدعويين • وفى جاوة وجزر سوندا الأخرى ، يحمل العريس بنفسه عروسه بين أذرعه ليوصلها الى داخل بيته • وفى « سيراليون » ، تحمل امرأة عجوز العروس فوق ظهرها وتغطيها برداء جميل وذلك عندما يقترب المرافقون للعروس من بلدة الزوج ، لأنه لا يسمح لأى رجل أن يراها بعد ذلك الوقت الا بعد أن تفض بكارتها • ثم تبسط الحصر على الأرض حتى لا يمس الذين يحملون العروس الأرض بأقدامهم • وعلى هذا النحو تحمل العروس الى بيت زوجها » • وعند قبيلة « أتونجا » وهى قبيلة تسكن إفريقيا الوسطى البريطانية غرب بحيرة نيانزا ، ترافق مجموعة من الفتيات الصغار العروس الى بيت زوجها حيث يكون هو فى انتظارها • ثم تقف العروس عند عتبة باب الزوج ولا

يسمح لهـا بعبور العتبة الا بعد أن يقدم لها العريس معزقة • وعند ذاك تضع قدما على عتبة الباب ، ثم يقدم لها الزوج قطعة من القماش طولها ياردتان • وعندئذ تخطو الزوجة بقدميها داخل البيت وتقف بالقرب من البـاب حيث تتسلم هدية هى عبارة عن عقد من الخـرز أو ما أشبه ذلك •

ولعلنا ندرك من هذه الروايات الأخيرة أن تحريم العروس من ايطاء عتبة البيت الجديد يفهم ضمنا ولا يعبر عنه صراحة • ولكن العروس بين الشعوب الآرية من الهند حتى اسكتلندا ، تحرص كل الحـرص على ألا تمس عتبة بيت زوجها ، ومن ثم فانها تعبرها أو تحمل فوقها • فقد كانت القاعدة عند الهنود القدماء على سبيل المثـال ، أن تعبـر العروس عتبة زوجها بادئة برجلها اليمنى بحيث لا تقف على العتبة • ويقال ان هذه العادة نفسها تتبع عند السـلافيين الجنوبيين وعنـد سكان موستار فى « هير تسيجوفينا » وفى « بوجادى كاتارو » • وفى « ألبانيا » عندما تصـل الجماعة المرافقة للعروس الى بيت الزوج ، يراعى أفراد هذه الجماعة أن يعبروا فوق عتبات الحجرات ، وبخاصة الحجرة التى توضع فيها أكاليل الزهر بادئين بالرجل اليمنى • وفى سلافونيا يحمل العروس الى بيت زوجها أفضل رجل • ولا يجـوز للعروس فى بلاد اليونان فى العصر الحاضر أن تمس العتبة بل تحمل فوقها • وبالمثل كانت تمنع العروس فى العصور القديمة فى روما من أن تطأ الأرض بقدميها • ومن ثم فانها كانت تحمل فوقها • وفى بعض جهات « سيليزيا » تحمل العروس عند عبور عتبة بيتها الجديد • وكذلك كانت من عادة سـكان ضـواحى « ألتمارك » أو ربما ما تزال مـن عاداتهم ، أن تصل العروس الى بيت زوجها فى عربة • وعند وصولها يأخذ الزوج بيدها ، ويحملها الى داخل بيته بحيث لا تلمس أرجلها الأرض ، ثم يضعها بجـانب الموقد • كما جرت العـادة فى سويسرا الفرنسية أن تقابل امرأة عجوز العروس عند باب بيت زوجها ، وتنثر فوقها ثلاث حفنات من القمح • وعند ذاك يحملها الزوج بين أذرعه

فوق عتبة الباب حتى لا تدوسها بقدميها • وقد قيل ان عادة حمل العروس فوق عتبة الباب كانت تتبع فيما مضى فى « اللورين » وفى بعض بقاع فرنسا • وفى « ويلز » « كان يعتقد أن الحظ العثر يجرى فى اثر العروس ان هى وضعت قدميها على العتبة أو بالقرب منها ، ومن ثم فان العروس كانت تحمل بعناية بعد الانتهاء من احتفالات الزواج فوق العتبة ثم تدخل الى بيت الزوج » • وقد كان المألوف فى بعض جهات استكلندا حتى مطلع القرن التاسع عشر ، عندما تصل العروس برفقة المدعويين الى بيت الزوج أنها « كانت تحمل فوق العتبة أو فوق الدرجة الاولى من السلم ، حتى لا يصيبها السحر أو الشؤم •

ولعلنا نتساءل بعد ذلك ، ما المغزى الذى يقع وراء حمل العروس فوق عتبة باب الزوج ؟ لقد أشار بلوتارك الى أن هذه العادة التى كانت تتبع فى روما ، وربما كانت أثرا متخلفا لعادة اختطاف « نساء سابينا » ، اللاتى كان الرومانيون يتخذون منهن زوجات • وبالمثل الى بين زوجها مع مراعاة ألا تطأ قدماها عتبة الباب • وهذه العادة قديمة ، وهى عادة اختطاف الزوجات من القبيلة المعادية ، وحملهن عنوة الى بيوت الأعداء • ولكن لعله مما يعارض وجهة النظر هذه أن عادة حمل العروس فوق العتبة من الصعب فصلها عن عادة تخطى العروس للعتبة دون أن تمسسها قدماها • ففى هذه العادة الأخيرة ليس هناك ما يشير الى عنف أو اكراه ، وانما تسير العروس مختارة الى بين زوجها مع مراعاة ألا تطأ قدماها عتبة الباب • وهذه العادة فيما نعلم ، قديمة قدم العادة الأولى ، إن لم تكن سابقة عليها ، حيث أنها هى العادة التى دونت فى كتب التشريع الهندية القديمة التى لا تذكر شيئا عن عادة حمل العروس فوق العتبة • وبناء على ذلك ، فاننا يمكننا أن ننتهى الى أن عادة حمل العروس عند زفافها الى بيت الزوج ، هى بكل بساطة اجراء احتياطى لتجنيب العروس من أن تمس العتبة بقدميها • وبناء على ذلك فهى ليست سوى مثال واقعى

لذلك الحذر البالغ فى عدم ايطاء العتبة بالأقدام ، وهو حذر ينتشر بين كثير من الشعوب كما رأينا • واذا كنا ما زلنا فى حاجة الى مزيد من الاستدلال الذى يؤيد معارضتنا لتفسير هذه العـادة من خلال عادة اختطاف النساء القديمة ، فاننا نشير الى عادات الزواج فى «سالسيت» وهى جزيرة تقع بالقرب من بومباى • فوفقا لعادات الزواج فى هذه الجزيرة ، يحمل خال الزوج نفسـه أولا فوق العتبة الى بيته ، ثـم يحمل العروس من بعده • وحيث أنه من العسير أن يفسر حمل الزوج الى بيته بوصفه أثرا متخلفا لعادة أسر الأزواج ، فانه يتحتم علينا كذلك ألا نفسر كذلك حمل العروس فوق العتبة من خلال هذا الغرض •

على انه ما زال علينا أن نتساءل : وما السبب إذن فى هذه المعارضة الشديدة للمس الأعتاب ؟ ولماذا تتخذ كل هذه الاحتياطات الدقيقـة لتجنب الاتصال بجزء من البيت ؟ من المحتمل فيما يبدو أن هذه العادة ترتكز على اعتقاد دينى أو خرافى ، فى أن هناك خطرا يستكن فى الأعتاب يمكن أن يؤثر على هؤلاء الذين يطئونها بأقدامهم أو يجلسون فوقها وقد رأى العالم « فارو » وهو أحد الجهابذه الفولكلوريين ، أن عادة حمل العروس فوق العتبة كانت تهدف فى الأصل تجنيبها من ارتـكاب نوع من الدنس اذا ما وطأت قدماها شيئا مقدسا كان مكرسا للآلهـة « فستا » • ويعد رأى « فارو » العالم الأثرى الرومانى فى ارجاعه هذه الشعيرة الى نوع من الشـك الدينى ، أقرب الى الحقيقـة من العالم الأثرى « بلوتارك » الذى رأى أن يربط هذه العادة بعادة أخرى أو بالأحرى بموضـوع اختطاف الزوجات عنوة • فمن المـؤكد أن الرومانيين كانوا ينظرون الى الأعتاب بوصفها شيئا مقدسا الى حـد بعيد ؛ لا لاتصالها بالآلهة فستا فحسب ، ولكن لكونها ترتبط فى العموم بإله ما ؛ يمكن أن يعد حارسا للبوابة الالهية » أى حارسا للأعتاب • وهذا الاله هو « ليمينتينوس » الذى انتقده الآباء المسيحيون فىعنف . فقد عرضته مكانته المتواضعة فى الحياة لمزاعم تتسم بالغباء والمهانة •

وتعتقد بعض الشعوب التى تعيش فى بقاع أخرى أن الاعتاب تسكنا الارواح • وربما كان هذا الاعتقاد فى حد ذاته كافيا لتفسير الاحجام عن وطء العتبة بالأقدام أو الجلوس فوقها ، حيث انه من الطبيعى أن يزعج هذا السلوك الكائنات المهولة التى تتخذ مسكنها فى هذا المكان • ففى مراكش يعتقد الناس أن العتبة يسكنها الجن • ويبدو أن هذا الاعتقاد هو السبب الذى يدفع المراكشيون لأن يحملوا العروس فوق عتبة بيتها الجديد • وفى أرمينيا يعتقد الناس كذلك أن الأعتاب تعد مسكنا للأرواح • وحيث أنهم يظنون أن المتزوجين حديثا يكونون بصفة خاصة معرضين لتأثير الأرواح الشريرة ، فانهم يجعلون رجلا يقف فى انتظارهم لحمايتهم وهو شاهر سيفه • ويقوم برسم علامة الصليب على الحائط عند كل باب من الأبواب • وقد قيل ان سكان روسيا فى زمن الحادهم ، كانوا يعتقدون ان أرواح البيت تتخذ مكانا لها تحت الأعتاب • ويرتبط بهذا الاعتقاد أن من يبنى بيتا جديدا فى ليثوانيا ، يضع أسفل العتبة صليبا أو أى شىء آخر يتوارثه الناس جيلا عن جيل • ومن المألوف كذلك فى ليثوانيا ان الأب يحمل ابنه هنيهة فوق العتبة بعد تعميده ورجوعه من الكنيسة • « وربما يهدف الأب من ذلك أن يدع هذا الفرد الجديد فى رعاية آلهة البيت » •• كما يتحتم على الشخص ، عندما يخطو فوق العتبة أن يصنع علامة الصليب ، ولا يجوز له فى بعض الأماكن أن يجلس فيها • وكذلك يغسل جسم الاطفال الذين أصابتهم العيون الشريرة بالمرض ، عند أعتاب الأكواخ حتى يطرد المرض خارج الباب بمعونة آلهة الرومان (بينات) التى تسكن عند هذه الاعتاب • « وهناك اعتقاد جرمانى يمنع الشخص من أن يطأ العتبة بقدمه اذا دخل بيتا جديدا ، لأن هذا يسىء الى الارواح الفقيرة » • كما يعتقد الايسلنديون أن من يجلس على عتبة الفناء تهاجمه الاشباح •

ومن المحتمل ان الناس يعتقدون فى بعض الأحيان ان الأرواح التى تستقر عند الأعتاب هى أرواح الموتى • وهذا الاعتقاد ينتشر حيثما

تجرى عادة دفن الموتى أو دفن بعضهم تحت عتبة البيت فعند قبيلة « واتافيتا » التى تسكن فى شرق افريقيا على سبيل المثال ، « يدفن الرجل المتوفى ، وفقا للعادة المتبعة ، عند باب كوخ أكبرزوجاته سنا•ومن واجب هذه الزوجة ان تحرض على الا تزعج الضبع المتجولة بقايا جثة زوجها • على ان أسرة « موينجارى » وعشيرة « نديجهيرى » ، يفضلان ان يكون قبر الزوج داخل كوخ الزوجة ، أما النساء فيدفن بالقرب من مداخل بيوتهن • وأما الأبناء الذين لا يحتفل بدفنهم ذكورا كانوا أم اناثا فيطرحون فى حفرة أو فى خندق يبعد قليلا عن الأكواخ ولا ترعى قبور هؤلاء الابناء بعد ذلك ، وان نهش حيوان مفترس هذه القبور والتهم ما بها من أجساد » • وبالمثل نجد أن المزارعين فى روسيا يدفنون الأطفال الجهيضين تحت عتبة الباب ، حيث أنهم يظنون ان أرواح الأطفال ترغب فى سكنى هذا المكان • ويحدث ما يشبه هذا فى « بلاسبور » وهو حى يقع فى أقاليم الهند الوسطى » • فالطفل الجهيض أو ذلك الذى توفى قبل مرور اليوم السادس على ولادته ، وهو يوم التطهير « شهانى » ، لا يحمل خارج البيت ليدفن بل يوضع فى وعاء طينى (جارا) ويدفن عند مدخل البيت أو فى فنائه • ويقول البعض انهم يفعلون ذلك لكى تلد الأم طفلا آخر • ويحدث هذا فى حى «هيسار » فى « البنجاب » • « فالبشناويين يدفنون الأطفال الموتى عند عتبة البيت معتقدين بذلك ان فى هذا ارتداد الروح الى الأم • وتنتشر هذه العادة فى حى « كانجارا » حيث يدفن جسد الطفل أمام الباب الخلفى » • وفيما يختص بالهنود الشماليين بصفة عامة ، فاننا نقرأ ان « الطفل عندما يموت ، يدفن عادة تحت عتبة البيت ، اذ ان الناس يعتقدون ان روح الطفل ستولد فى الأسرة مرة أخرى عندما يسير الوالدان على قبره كل يوم » • وهذا الاعتقاد فى تناسخ الأرواح يفسر تلك العادة التى تنتشر وسط افريقيا وهى عادة دفن المشيمة أسفل الباب أو فى الحقيقة تحت عتبة الأكواخ • فكثير من الناس يعتقدون ان المشيمة كائن انسانى ، وهى الأخت التوأم للطفل الذى يولد قبل

نزولها بفترة قصيرة • والأم تأمل فيما يبدو ، ان روح الطفل الميت أو روح توأمه تمر الى رحمها لكى يولد مرة أخرى ، وذلك اذا ما دفن الطفل الميت أو دفنت المشيمة تحت العتبة •

ومن الغريب حقا ان مثل هذا الدواء يستخدم حتى الزمن الحديث فى علاج بعض الشرور التى تنتاب الأبقار على الرغم من ان الأشخاص الذين يمارسونه أو ينصحون به ، ليست لديهم فيما يبدو فكرة واضحة عن الطريقة التى يتم بها العلاج من خلال اتباع هذه العادة ، ففى حى « كليفلاند » فى « يوركشاير » ، يرى الناس أنه من قبيل الحقيقة ان البقرة اذا ولدت عجلا جهيضا فى مكان الحلب فانه من المحتمل كل الاحتمال ان تحذو حذوها سائر الأبقار التى تكون معها فى هذا المكان ، الأمر الذى يسبب للمالك خسارة كثيرة • على ان الناس لا يقدمون سببا لهذه الظاهرة ، أو لما يعارضها فى حالة عدم حدوثها • والعلاج الوقائى لهذه الحالة ، أو بتعبير آخر العلاج الفولكلورى لها ، هو ازاحة عتبة المكان الذى حدثت فيه هذه الحادثة، والقيام بحفر حفرة عميقة تتسع لدفن العجل الجهيض ، بحيث يوضع على ظهره وتكون أرجله مرفوعة الى أعلى • ثم تغطى الحفرة بالتراب وتقام عليها العتبة كما كانت أول الامر • وقد سأل الدكتور « أتكنسون» رجلا ذكيا فى يوركشاير حول سبب استمرار هذه العادة الغريبة فقال فى لهجته المحلية : « ان هذه العادة ما تزال تتبع حتى اليوم ، وقد كان أبى يمارسها فيما مضى • واذا كان أبى قد فعل ذلك منذ سنين خلت ، فلا بد ان يكون العجل الجهيض الذى دفنه قد بلى تماما ، ولهذا فاننى أقوم بدفنه مرة أخرى » • فمن الواضح ان هذا الرجل يعنى بذلك ان النفع الذى يعود على الناس من وراء دفن العجل الجهيض ، لا يدوم الى الأبد ، ومن ثم يجب ان يعزز هذا الأثر بعملية دفن جديدة • وبالمثل كتب لى مدير مزرعة كبيرة تقع بالقرب من كمبردج ، منذ بضعة سنوات يقول : « أخبرنى راعى بقر أخيرا ان العلاج الوحيد للأبقار عندما ينتشر وباء الاجهاض بينها ، ان يدفن أحد العجول

الجهيضة تحت البوابة التى تمر خلالها العجول كل يوم » • وقد سبق أن دون هذا العلاج منذ مائة عام رجل انجليزى كان مهتمـا بالآثار القديمة فقال : « ان العجل السـقط أو الجهيض يدفن فى الطـريق الذى كثيرا ما يسير فيه القطيع ، وهذا يقضى الى حد كبير على هذا المرض الذى قد يصيب الابقار • وهذه العادة تنتشر على نطاق واسع فى « سافولك » • وربما كان مغزى هذا الاعتقاد القديم ان روح العجل المدفون تتقمص البقرة التى تمر فوقه ، ومن ثم فهو يولد مرة أخرى • ولكنه ليس من المحتمل أن يكون تفسير عملية السحر على هذا النحـو قد استمر فى انجلترا حتى العصر الحديث •

وبناء عـلى ذلك ، فان الجو السحرى الذى أحاط بالأعتاب فى الخيال الشعبى ، ربما كان مرده جزئيا الى عادة دفن الأطفال الصغار الميتين أو الحيوانات الميتة تحت الاعتاب • ولكن هذه العادة لا يمكن ان تفسر وحدها هذا التقديس الخـرافى للأعتـاب ، حيث ان هـذا التقديس قد ارتبط كذلك بعتبات الخيام كما ارتبط بعتبات البيوت • ولست أعلم فى حدود مشاهداتى وقراءاتى ، ان هناك شاهدا أو احتمال وجود شاهد يشـير الى عادة دفن الميت أسـفل مدخل الخيمـة • فالمراكشيون لا يعتقدون فى ان أرواح الموتى هى التى تسـكن تحت الأعتاب ، مهما تكن طبيعة الكائنات الروحية التى يعتقد الناس فى أنها تسكنها ، توضحها كل الوضوح عادة ذبح الحيوانات عند الأعتاب على سبيل الضحية ، وارغام الناس الذين يدخلون البيت على ان يخطـو فوق دم الحيوان المنسكب • وتذبح الضحية عند العتبـة غالبا ، فى اللحظة التى توشك فيها العروس أن تدخل بيت زوجها للمرة الأولى • فعند قبيلة « براهويس » فى « بلوخستان » ، تجلس العروس التى تنتمى الى الطبقة الشعبية المتيسرة ، فى محفة على جمل ، بينما يسير الزوج بجانبها ممتطيا حصانا ، وذلك حتى لا يسير كل منهما سـيرا مجهدا على الاقدام • فاذا وصلا الى بيت العرس ، تذبح شـاة عند العتبة وتعبر الزوجة فوق الدم المنسـكب بحيث يترك الدم علامة على

أحد نعلى حذائها • ثم يؤخذ بعض الدم ويوضع فى فنجان وتغمس فيه حزمة من الأعشاب ثم تدهن أم العـريس جبهة العروس بالدم وهى تخطو فوق العتبة » • ويحدث مثل هذا فى احتفالات الزواج فى « ميهارده » فى سوريا ، اذ تذبح شاة خارج باب البيت وتعبر العروس فوق الدم فى أثناء انسكابه من الحيوان • ويبدو أن هذه العادة تنتشر بين اليونانيين والبروتستانتيين • « وفى مصر ، يذبح الأقباط شـاة عند دخول العروس بيت العرس ، ويتحتم عليها أن تعبر فوق الدم المنسكب على العتبة عند مدخل البيت » • وتقديم الضحية للميت عند عتبة البيت عادة عنـد قبيلة « بامبـار » التى تسـكن منطقة أعالى النيجر ، كما يسـكب الدم على الحائطين اللذين يقعان عـلى جانبى المدخل • وعلى عتبة الباب كذلك يقوم الصبى الذى يكلف بحمل حبوب الذرة من البيت الى الحقل عند الاحتفال ببذر الذرة بتحية أشـباح الأجداد • ويبدو أن هذه العادات تعكس فكرة البامباريين فى أن أرواح الموتى تسكن بصفة خاصة عتبة البيت القديم •

وكل هذه العادات المختلفة يتجلى مغزاها ، اذا كان الاعتقاد يتمثل فى أن العتبة تعد مسكنا للأرواح التى يجب أن يسترضيها كل مـن يدخل البيت أو يخرج منه فى مواسم بعينها • وهـذا الاعتقاد نفسه يفسر كيف أن الناس فى كثير من البلاد ، وفى ظروف بعينها كانـوا يحرصون على ألا يمسوا الاعتاب ، وكيف أن الناس فى بعض البلاد كانوا يعينون حراسا يقفون عند الأعتاب لكى يراقبوا تنفيذ هذا التحريم فى صرامة • وربما كان الحراس الذين كانوا يقفون عند مدخل معبد أورشليم أشبه بهؤلاء الحراس ، على الرغم من أن « الكتاب المقدس » لم يشر فى شىء الى العمل الذى كانوا مكلفين بالقيام به •